

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات مقياس: النقد الموضوعاتي

السنة: الثالثة ليسانس تخصص : نقد ومناهج

السداسي: الثاني

أستاذة المقياس:

د. أسماء العايب

السنة الجامعية: 2024 / 2025م

المحاضرة الأولى: مفهوم المقاربة الموضوعاتية:

تعدّ المقاربة الموضوعاتية واحدة من المقاربات النقدية التي تتميز بشساعة المفهوم وغموض المعنى، حيث يتسع تعريفاتها باتساع مشاربها وتعدّد اختصاصات المشتغلين في حقلها، وما هو مؤكد أنّ استقصاء مفهوم الموضوعاتية في الحقلين النقديين الغربي والعربي يُظهر لنا اضطرابا في المفهوم، وتنوعا في التعاريف باختلاف مرجعيات النقاد والدارسين وتباين تطبيقاتهم لهذا المنهج النقدي و من أسباب ذلك

- تعدّد المدلولات الاصطلاحية والأدوات الإجرائية الخاصة بالنقد الموضوعاتي.

- مبدأ الحرية وعدم التقيد بنظرية نقدية واحدة بين رواد هذا المنهج في الغالب الأعم.

-تداخل المنهج الموضوعاتي مع مناهج أخرى مثل البنيوية والتحليل النفسي، والنقد الأسطوري والتباسه مع المنهج الموضوعي المقابل للمنهج الذاتي.

-التباس مفهوم الموضوع في الحقل النقدي العربي والغربي على حدّ سواء فإذا كانت الموضوعاتية تنقب عن الموضوع كأساس داخل النصوص الأدبية، وهذا الموضوع غير واضح المعنى والدلالة فهذا سينعكس إجمالا على مفهوم المقاربة الموضوعاتية ككل، إذ يلتبس مفهوم الموضوع بمصطلحات أخرى؛ كالتيمة التي يعدها حميد الحميداني المرادف العربي الأقرب لكلمة **them**، فالموضوعاتيون أنفسهم يختلفون في تعريف الموضوع فهو عند رولان بارت؛ "شبكة منظمة لفكرة متسلطة"، وهو عند جون بول ويبر؛ "حدث أو وضعية طفولية"، أمّا عند جان بيير ريشار فهو "كوكبة من الكلمات والأفكار والتصورات".

-تعدّد التسميات إذ عرف بتسميات أو ترجمات متعدّدة منها النقد الموضوعاتي، النقد التيماتي، النقد الظاهراتي، النقد الشمولي، النقد الموضوعي، النقد الغرضي، وقد اختير النقد الموضوعاتي لأنه الأكثر شيوعا واستعمالا بين النقاد العرب.

يرتكز النقد الموضوعاتي -رغم اختلاف منطلقات أعلامه وخلفياتهم الفلسفية، وكذا الآليات الإجرائية التي اتبعتها كل منهم -على محاولة تقصي ترابط التظاهرات المحورية للمعنى الأدبي وتحولاتها من تجربة ضيقة إلى تجربة أكثر شمولية واتساعا، تتبني المقاربة الموضوعاتية على استخلاص الفكرة العامة أو الرسالة المهيمنة أو الرهان المقصدي أو الدلالة المهيمنة أو البنية الدالة التي تتجلى في النص

الأدبي، عبر النسق البنيوي وشبكاته التعبيرية تمطيًا وتوسيعًا، أو اختصارًا وتكثيفًا، والبحث أيضًا عمّا يجسد وحدة النص العضوية والموضوعية اتساقًا وانسجامًا وتنظيمًا، ومن جهة أخرى، يستلزم النقد الموضوعاتي قراءة نص واحد أو مجموعة من النصوص والأعمال الإبداعية التي كتبها الأديب المبدع، والبحث عن بنياتها الداخلية، واستكناه مرتكزها البنيوي المهيمن، وجمع كل الاستنتاجات في بوتقة تركيبية متجانسة ومتضامة، واستقراء اللاشعور النصي عند المبدع، وربط صورة اللاوعي بصورة المبدع على المستوى البيوغرافي والشخصي.

عليه فالمقاربة الموضوعاتية هي التي؛ تبحث في أغوار النص لاستكناه بؤرة الرسالة، مع التنقيب عن الجذور الدلالية المولدة لأفكار النص، قصد الوصول إلى الفكرة المهيمنة في النص، وتحديد نسبة التوارد لتحديد العنصر المكرر فكريًا، سواء أكان ذلك في الشعر أو النثر، إذ تهدف هذه المقاربة كذلك إلى استخلاص البؤرة المعنوية، واستجلاء الخلية العنوانية، وتحديد الجذر الجوهري، ورصد الفعل المولد واستخراج النواة الأساسية التي يتمحور حولها النص إسنادًا وتكملة، عبر عمليات نحوية إبداعية كالحذف والزيادة، والتحويل، والاستبدال، فالنقد الموضوعاتي إذن معني بالدرجة الأولى بتتبع الشبكات الدلالية التي تنشأ بواسطة إدراك الأنا المبدع (الكاتب) في لحظة زمنية معينة لظاهرة ما أو لشيء ما من خلال الخيال، حيث تتربط الدلالات المتولدة في عمق الأثر الأدبي، وتختفي التناقضات فيما بينها، ويزول التفكك الذي يحل محله الانسجام والتماسك تحت مهاد تيمة أو موضوع أكبر، مهيمن شامل لدلالات النص الأدبي، فالموضوعاتية إذن تتجاوز الفصل التقليدي بين الشكل والمضمون، لأنّ تجربة الكتابة في نظر النقاد الموضوعاتيين هي ؛ تجربة جمالية ذاتية، يلتزم فيها الكاتب بالشكل والمضمون .

كما أنّ الناقد الموضوعاتي أثناء نقده ودراسته يتجاوز النص الواحد لمؤلف ما إلى جميع نصوصه، أو إلى نسبة مهمة منها على الأقل؛ حسب ما جاء في دراسة **جان بول ويبر** لأعمال **ستاندال** بالخصوص، كما يتفق رواد النقد الموضوعاتي على أن تشكل الموضوعاتية الأساسية للكاتب يعود إلى مرحلة طفولته ففي نظرهم قد عرفت هذه المرحلة حدثًا متميزًا في وعي المؤلف وفي لا وعيه، ثم يتحول هذا الحدث عنده إلى موضوعاتية أساسية تنبثق منها نصوصه الأدبية ، ومنه فالسيرة الذاتية للأدباء ضرورة لدراسة الآثار الأدبية.

وعن تاريخ ظهور النقد الموضوعاتي يقول **السعيد علوش**: "إنّ النقد الموضوعاتي هو أيديولوجيا، ابن الرومانسية، ومع ذلك فإنّ مرجعية الموضوعات في الدراسات الأدبية تعود إلى فترة أبعد من ذلك بكثير، فالموضوع موروث من علم البلاغة القديم الذي يعطي أهمية كبيرة لـ الموضوعية TOPOS ، وهي عنصر مدلولي حاسم في أي نص، إلّا أنّه لا بد من انتظار تطورات العلوم المقارنة في اللسانيات والأدب، في بداية القرن التاسع عشر كي يكتسب المفهوم أهمية أكبر، فقد أمدنا مفهوم الموضوع بعنصر مشترك مدلولي أو إلهامي يسمح بمقارنة أعمال مؤلفين مختلفين انطلاقا من فهرس واحد فالمقارنة الموضوعاتية بذلك تكون ذات جذور ضاربة في تاريخ النقد والبلاغة القديمين، لكن الظهور الفعلي لها لم يكن إلا في فرنسا في ستينيات القرن العشرين مع تطور حقول بحثية أخرى، كاللسانيات، والأدب المقارن هذا الأخير الذي يرى بعض الدارسين أنّ دراسة الموضوعات ارتبطت تاريخيا ببداياته، أي بعد تشكل علم الموضوعات الذي اقترحه **فان تيغم** الذي يرجح أن يكون اللبنة الأساسية للنقد الموضوعاتي ومعادلا للموضوعاتية.

ولكن التاريخ الفعلي الذي يعود إليه ظهور الموضوعاتية هو ستينيات القرن العشرين بالضبط في فرنسا، ويرجع الفضل الكبير في ظهوره إلى الفرنسي **جون بول ويبر** و **جان بيير ريشار** كما **لغاستون باشلار** الفضل الكبير فيه وبالغ الأثر في تجلي النقد الموضوعاتي ومن رواده: **ألبار يغي**، **مرسال ريمون**، **جورج بولي**، **جان روسي**، **جان ستاروبانسكي**، **جان بول ويبر**، **جان بيار ريشار** وغيرهم.

ولم يكن لهؤلاء النقاد اتفاق واضح حول الآليات الإجرائية والأسس النظرية التي تتبني عليها المقارنة الموضوعاتية فتعددت الجهود بينهم واختلفت، كما جاءت أسسها وآلياتها غامضة رغم رصانة وعمق كل دراسة من دراسات هؤلاء النقاد الغربيين الذين ذكرناهم والذين لم نذكرهم، ونتيجة لذلك ضم رولان بارت المنهج الموضوعاتي إلى كل المناهج التي تعتمد التأويل أو التفسير، حيث قسم النقد إلى تاريخي وتأويلي، ومما عيب على المقارنة الموضوعاتية تفضيلها للموضوعات على حساب السلوكات وفصل المضمون عن الشكل والمدلول عن الدال، لأنّ الشكل انبثاق للأعماق ، كما اعتبرها آخرون نقدا سرديا يشرح التيمات وهذا ما أكده تودوروف عندما لاحظ طغيان الطابع السردى على النقد الموضوعاتي.

المحاضرة الثانية: مصادر المقاربة الموضوعاتية :

للمقاربة الموضوعاتية مصادر كثيرة ومتعددة منها ما هو فسفي فكري، ومنها ما هو نقدي بلاغي، ولكن أبرز أثر سجلته المقاربة الموضوعاتية في جهود روادها ومشتغلها هو النزعة الفلسفية وخاصة الفلسفة الظاهراتية أو الظاهرية أو الفينومينولوجية، التي تنطلق منها والتي لا يكاد يخلو منها أي جهد موضوعاتي، كما تتفتح الموضوعاتية على مقولات الفلسفة الوجودية، والفلسفة التأويلية الهرمونيوطيقية، كما تستقي من مشارب إبستمولوجية تتجلى في انفتاحها على علم النفس وعلم المعجميات وعلم اللسان و السيميائيات والنقد الأدبي وعلم الجمال وشعرية التخيل.

إن تستفيد القراءة الموضوعاتية من الظاهراتية هذه الأخيرة التي ولدت في ألمانيا على يد إدموند هوسرل وفلاسفة آخرون، و التي ينحصر مجال اشتغالها في بحث مشكلة الوعي، بالانطلاق من وعي الإنسان بنفسه، حتى يصل بعد ذلك إلى تحقيق وعيه بالعالم حسب مبدأ ديكارت أنا أفكر إذن أنا موجود راحت الفلسفة الظاهراتية تقلب هذه المعادلة لتؤكد أن الوعي هو دائما وعي بشيء ما فهي بحث في ماهيات المدركات ولا تعترف ببواطن الأمور، بل تنتظر للظواهر من خلال ردّ الأشياء لحقيقتها؛ فهي تنطلق من الظاهرة إلى المعنى المدرك المتفق مع الخبرة المباشرة، والعودة إلى الأشياء مع التحرر من الافتراضات السابقة.

كما تقوم على الجدلية التي تقول أن التجربة الإنسانية تتشكل في الحياة من خلال الوعي الذي يمثل أفضل طريقة لمعرفة المعنى الذي يستخلص من خلال هذه التجارب، وبذلك تكون الفينومينولوجيا هي؛ دراسة الوعي بالظواهر وطريقة إدراكنا لها، لتكون هذه الأفكار استثمارا من قبل النقاد الموضوعاتيين من أجل بناء أدوات نقدية عملية وفعالة توصلهم إلى اكتشاف جماليات النص الأدبي وعليه فالدراسة الموضوعاتية تتجه نحو دراسة الظهورات المتعددة للموضوع الواحد، من أجل الوصول إلى البنية المفهومية للنص الأدبي ومعرفة الأبنية الكلية، التي يمتد في معناها النص والتي تقضي بنا إلى ما يسمى بالموضوع، فهذا الموضوع ينبغي التمييز بينه كموضوع مستقل يتغير بتغيير الزمان والمكان، و بين ظهوره في وعينا به ومعنى هذا؛ أن الوعي بالشيء الواحد هو وعي متحرك ومتعدد وبذلك نجد موضوعاتية نص أدبي ما، هي موضوعاتية واحدة بينما تختلف صور تجليها في وعي الكاتب، ومن ثمة أشكال تجسيد هذا الوعي في النص الإبداعي.

وهذه المنطلقات التي تستند إليها الفلسفة الظاهرانية هي منطلق النقد الموضوعاتي عند غاستون باشلار الذي اتخذها قاعدة لتفكيره وممارسته النقدية، التي مهد بها الطريق لتأسيس المنهج الموضوعاتي وتطويره على أيدي جان بيير ريشار وجان بول ويبر بالخصوص .

كما أفادت الموضوعاتية من التحليل النفسي فنلاحظ من خلال استعمال المقاربة الموضوعاتية قاموساً لمصطلحات التحليل النفسي من مثل: وساوس، هذيان، حلم، رغبة، طوابق الوعي المعنى الظاهري ، المعنى الخفي ولذلك نجد أن النقد الموضوعي؛ لا يعمل على مستوى الوعي، ولا على مستوى اللاوعي وإنما على مستوى ما قبل الوعي الذي يرتبط باللغة أي بصور الكلمات، بغية الكشف عن معنى الرغبة الدفينة وراء اختيار المبدع لموضوع دون موضوع آخر ليجعل منه مادة لإبداعه، والكشف عن الرغبة هو من صميم التحليل النفسي.

يتداخل المنهج الموضوعاتي مع التحليل النفسي في كون هدف الدراسة بالنسبة لكليهما هي إحضار المعنى إلى النص، أو ما يمكن تسميته بتضخيم المعنى، فكل من المقاربتين مضخمة للمعنى تحاول الولوج إلى أغوار النص ومعانيه العميقة، كما نلمس استقاء النقاد الموضوعاتيون من التحليل النفسي فكرة أحلام اليقظة البدائية العميقة المترسبة في الذات المبدعة، استناداً إلى آراء كارل كوستاف يونج ، فالنقد الموضوعاتي لا يقتصر على تحديد الموضوعات فحسب بل يغوص في عمق اللاشعور لفك الرموز التي تسطع من عمق العقدة النفسية أو الجذر النفسي كما يسميها ريشار ففي نظره تلعب العقد النفسية كصراع داخلي غير محلول يلقي بظلاله على إدراكنا للعالم دوراً كبيراً في تشكيل الموضوع الأدبي.

وفي الأخير يمكن القول أنّ انفتاح النقد الموضوعاتي على التحليل النفسي و ارتباطه بالفلسفة الظاهرية لا ينفي علاقته بالمناهج الأخرى، بل يستفيد بشكل كبير وواضح من البنيوية، الشكلائية الروسية، كما يستوعب النقد الأسطوري، و يرتبط بعلم الأفكار الذي يزود الناقد الموضوعاتي بمادة خصبة في التحليل، فالموضوعات المقصودة من قبل الكاتب متشكلة من مجموعة أفكار ينطلق منها الناقد وتكون شغله الشاغل في نتاج مبدع ما.

المحاضرة الثالثة: آليات المقاربة الموضوعاتية:

يقصد بالآليات الإجرائية في المنهج النقدي؛ تلك العمليات المنظمة التي يتبعها الناقد لتحليل النص الأدبي وكشف بنيته الداخلية، وهي وسيلة لضبط البحث وتحقيق أهداف الدراسة النقدية، ولكل واحد من النقاد الموضوعاتيين طريقته الخاصة ومقولاته التي يبني عليها مقارنته النقدية، وأغلب الذين كتبوا في مجال النقد الموضوعاتي لم يحددوا هذه الآليات الإجرائية التي حددها الناقد جميل حمداوي في مجموعة من الركائز المنهجية، والمكونات الأساسية النظرية التي تتحكم في العمل الأدبي، ويمكن حصر هذه المكونات في المبادئ التنظيمية الآتي ذكرها :

- *قراءة النص قراءة شاعرية عميقة ومنفتحة.
- *الانتقال من القراءة الصغرى إلى القراءة الكبرى.
- * تحديد مكونات النص المناصية والمرجعية.
- * التآرجح بين القراءة الذاتية والقراءة الموضوعية.
- * البحث عن التيمات الأساسية، والبنى الدلالية المحورية، والموضوعات المتكررة، والصور المفصلة في النص الإبداعي.
- * جرد هذه التيمات، واستخلاص الصور المتواترة في سياقها النصي والذهني والجمالي.
- * تشغيل المستوى الدلالي برصد الحقول الدلالية، وإحصاء الكلمات المعجمية، والمفردات المتواترة.
- * توسيع الشبكة الدلالية لهذه التيمات المرصودة دلاليا فهما وتفسيرا.
- *رصد الأفعال المحركة والمولدة للمعاني في سياقاتها الصوتية والإيقاعية والصرفية والتركيبية والتداولية، مع دراسة دلالاتها الحرفية والمجازية، واستنطاقها فهما وتأويلا.
- * الانتقال من الداخل النصي إلى التأويل الخارجي، والعكس صحيح أيضا.

* دراسة الموضوع المعطى من أجل بلوغ الجانب الحسي في الأثر الأدبي، أو الوصول إلى البنية الموضوعية المهيمنة للعمل الإبداعي.

* حصر العناصر التي تتكرر بكثرة، وبشكل لافت، في نسيج العمل الأدبي.

* تحليل العناصر التي تم حصرها ورصدها اطرادا وتواترا (الاهتمام بالمعنى السياقي) .

* المقارنة بين الظواهر الدلالية والمعجمية والبلاغية تآلفا واختلافا.

* تجنب التزديد في التحليل الموضوعاتي، واللجوء إلى الإسقاط القسري المتعسف، وعدم تقويل النص ما لم يقله.

* جمع النتائج التي تم تحليلها لقراءتها تفسيرا وتأويلا واستنتاجا.

* بناء قالب نموذجي مجرد يستطيع أن يستوعب داخله تفاصيل العمل الأدبي المدروس.

* ربط الدلالات الواعية وغير الواعية بصورة المبدع الذاتية والموضوعية.

هذا، وتتطلق الموضوعاتية، في تعاملها المنهجي، من التطابق والتماثل بين المعنى الواضح والمعنى العميق الضمني غير المباشر فهما وتفسيرا، من خلال ربط الداخل بالخارج، وربط الوعي باللاوعي في علاقتهما بما قبل الوعي، فأما المعنى الواضح فهو ما يقدمه النص بشكل مباشر، وأما المعنى الضمني فهو صدى المعنى الأول، إنه أفقه وهامشه على حد تعبير الفينومينولوجيين، وبين مستويي الواضح والضمني لا يوجد انقطاع وهذا الشعور بعدم وجود الانقطاع هو العامل المحرك للنشوة الموضوعية. فالتزحلق من المباشر إلى الضمني، من المقول إلى اللامقول هو تزحلق بلا فجوات، ويعني هذا أنّ المقاربة الموضوعاتية تعتمد على: الفهم الداخلي للنص المقروء بكشف بنيته المهيمنة الدالة معجميا وتركيبيا ولسانيا وشاعريا، وتأويله خارجيا اعتمادا على مستويات معرفية مرجعية مساعدة بإضاءة الفكرة المحورية وتفسيرها.

المحاضرة الرابعة النقد الموضوعاتي عند الغرب - غاستون باشلار -

يعد غاستون باشلار من العلماء والفلاسفة الذين يصعب تصنيفهم في حقل بحثي واحد، فالإثارة والتعقيد أهم ميزتين لازمتا فكر باشلار، وكل من يتعرض لمشروعه الفكري يجد في أعماله و أفكاره تشكيلا غير متوقعا، ولد باشلار في فرنسا سنة 1884، بدأ حياته المهنية كعامل بريد ، وحصل على البكالوريوس في الرياضيات، وبعد الحرب العالمية الثانية 1918، أصبح أستاذا للفيزياء والكيمياء، قبل حصوله على درجة الدكتوراه بعد إعداده لأطروحة في فلسفة العلوم، ليعين بعدها أستاذا للتاريخ وفلسفة العلوم في جامعة ديجون 1940، ثم في جامعة السوربون حتى عام 1954، والإشارة إلى مسيرته هذه ضرورة لا يمكن تجاوزها لأنها ستعكس لاحقا في أعماله، وفيما يخص اشتغاله ومقارباته الموضوعاتية .

من أهم مؤلفاته: الروح العلمية الجديدة 1934، النار في التحليل النفسي 1937، تكوين العقل العلمي 1938، ليبدأ منعرجا جديدا في قضايا الشعرية فكتب، الماء والأحلام 1941، الهواء والأحلام 1943، الأرض وأحلام الراحة 1948، المادية العقلانية، شاعرية الفضاء 1957، شاعرية الخيال 1960 لم يكن باشلار ليصنف ضمن النقاد و الأدباء لاهتماماته الفلسفية والنفسية، إلا أن بحوثه عن عناصر الكون ، الأرض الماء، الهواء، النار وتتبعه لشاعرية الشعراء جعله أقرب إلى الأدب، خاصة من خلال بعض أعماله مثل: شاعرية الفضاء و شاعرية الخيال، لهيب الشمعة ، شاعرية الحلم ، لتعد اهتماماته في النقد الموضوعاتي من أهم الاسهامات في النقد الغربي، ويرى عبد الكريم حسن أن غاستون باشلار يكاد يكون الأب الروحي للنقد الموضوعاتي، الذي كان فيه رائدا، لاحق الفضاء، والحلم والزمن، والكينونة، لينتمي باشلار إلى صنف النقاد الذين ينادون إلى اختراق العمل ذاته، والانطلاق منه قبل الالتفات إلى صاحبه، فهو بنيوي بطريقة ما، والخيط الرابط بين غاستون باشلار وغيره من الموضوعاتيين هو الاعتماد على الحدس المعرفي أكثر من اعتماده على المعادلات الرياضية، فإذا كان النقاد الشكلاونيون يهتمون بتقنية الشكل الأدبي وإطاره ، فإن باشلار يهتم بتقنية مكونات هذا الشكل أو هذا الإطار، ومهما كان دور باشلار مهما في التأسيس للدراسة الموضوعاتية، فلا يمكن القول أن الموضوعاتية تنطلق كاملة من باشلار فهناك من يستعمل وبطرق مخالفة بعض الموضوعاتية البشارية أو يتوافق معها .

يتمثل دور الناقد الموضوعاتي في نظر باشلار في التفاعل مع سلسلة الصور التي تنتظم العمل الشعري، وقد استخدم باشلار الصيغة الموضوعاتية التي اعتمدها أرسطو في تفسير مكونات الطبيعة

وهي : الماء ، الأرض، النار، الهواء ومضى على هذا التقسيم العام يختبر استجابة الأدباء لكل عنصر في أعمالهم الإبداعية معتمدا على تحليل الصور الشعرية الدالة عليه وذلك في كتابه شعرية الفضاء، وتحتل مقولة فعالية الصورة في النتاج النقدي لبشارل المساحة الكبرى، إذ يرى أنّ للصورة أهمية كبيرة في العمل الشعري، فالصورة عنده تعود إلى شبكة من الصور والمعنى يعود إلى شبكة من المعاني، وكل ذلك من أجل الوصول إلى البنية التخيلية للعمل المنقود، وتكتسي أهميتها من علاقتها مع أنماط الحياة البدائية للإنسان، فهي تعكس صدى ذلك العمق التاريخي، وتملك في الوقت نفسه خاصية الخلود، و هذا ما يجعلها قائمة في الأعماق في شكل أحلام يقظة، أو استيهامات لاشعورية، تعود بنا إلى الماضي البعيد حيث كانت تتحدد العلاقة الأولى بين الإنسان و أشياء العالم الأساسية، الماء، الأرض، النار، الهواء.

ويرى باشلار أنّ أكثر الصور إبداعية داخل القصيدة هي بالضرورة ولا محالة عاكسة لصدى الصورة البدئية لعلاقة الإنسان بهذه العناصر، "ولكن الشعراء يستطيعون استثمار هذه الصور أكثر من غيرهم، بما أوتوا من قدرة متميزة على التحليل والربط، وكل ما يطمح إليه باشلار في تحليله للصور الأدبية هو العودة إلى الفعل البدئي والفعل البدئي هو؛ إعادة الصور إلى العنصر الأصلي الذي تنتمي إليه وفي إعادة الصور إلى فعلها البدئي نكون قد أعدنا الشاعر إلى مصدر إبداعه، فمهمة العملية النقدية البشارلية هي؛ اكتشاف أنساق الاستعارات و ما تخفيه من دلالات عميقة في أغوار الطبيعة الإنسانية، ففي وسع الناقد الموضوعاتي أن يعيد كافة الصور الشعرية عند شاعر معين إلى عنصر معين من هذه العناصر الأربعة ماء هواء...الخ، وهنا تكمن خصوصية الفلسفة الجمالية البشارلية وانعكاسها على خصوصية الإبداع، فهي تعيد خصوصية الإبداع من خلال إرجاع العمل الأدبي إلى عنصر واحد وهذا العنصر لا يبحث عنه باشلار في الطبيعة وإنما داخل الفكر البشري من خلال الإبداع الأدبي.

وهذه المفاهيم والتحليلات البشارلية وصفت بالغامضة لغموض مصطلحاتها وافتقارها لأدوات إجرائية ملموسة، خاصة وأنّ حدس الناقد في العملية النقدية الموضوعاتية يتدخل بشكل حاسم، كما أنّ باشلار يستقي أغلب مقولاته من التحليل النفسي، رغم اعترافه بأنه ليس محللا نفسيا لافتقاره إلى أدوات التحليل النفسي، كما أنّ مفهوم الصورة الذي يقصده غير واضح نظريا، ممّا يتعذر معه الفهم التام لركائز المنهج الذي اتبعه في مجموع أعماله، فبشارل لم يكن ناقدا أدبيا بل أراد أن يضع فلسفة للصورة الأدبية.

المحاضرة الخامسة: النقد الموضوعاتي عند الغرب-جون بيير ريشار-

جان بيير ريشار ناقد أدبي فرنسي، ولد في مدينة مارسيليا الفرنسية بدأ دراسته العليا في المدرسة العليا للأساتذة في عام 1941، وحصل على شهادة الأستاذية في الأدب عام 1945، ثم على الدكتوراه في الأدب من جامعة باريس عام 1962، درّس الأدب في جامعات أجنبية ثم في فرنسا، وأصبح أستاذاً في جامعة باريس الرابعة عام 1978 اشتهر ريشار بنقده الأدبي الذي ركز على العلاقة بين الكتابة وتجربة العالم الحسية، كما ظهر ذلك في كتابه "الأدب والإحساس 1954: يدرس فيه أعمال ستندال، فلوبيير، الشعر والعمق 1962: يبحث عن لحظة بداية الإبداع الأدبي.العالم الخيالي لمالارميه: 1962 دراسة مهمة حول الشاعر مالارميه

تأثر ريشار بفلسفة جون بول سارتر، و هوسرل و كذا بأعمال غاستون باشلار كما تأثر بعلم اللغة وعلم النفس، وعلم الدلالة ، فأسس نقداً موضوعاتياً يركز على وصف المناظر الأدبية والوعي الداخلي للأدباء ورغم ارتباطه بالتحليل النفسي بشكل خاص إلا أنه أسّس لمقاربة مختلفة عن ما يدعى بالنقد النفسي، فالنقد الموضوعاتي عند ريشار لا يلتفت إلى الجوانب التقنية في تحليل الأعمال الشعرية والروائية فهو نقد؛ يهتم بالمعاني العميقة، فهو سواء في الشعر أو الرواية يبحث عن التيمات المتحركة في شاعرية الإبداع الروائي والشعري لا في التقنيات.

يمكن القول إن النقد الموضوعاتي عند جان بيير ريشار يسعى إلى الغوص عميقاً في النص الأدبي للكشف عن البنية الداخلية التي تشكل عالم الكاتب الحساس، وذلك من خلال تتبع الموضوعات المهيمنة وتحليل تكرارها وإحاحها، لا عن طريق استعانته بالتأويل بل بالإحصاء لأنّ القراءة الموضوعاتية عنده ليست تأويلاً ولا تفسيراً وإنما هي وصف شامل يمكن تسميته بالجرد الذي يهدف إلى فهم رؤية

الكاتب الفريدة للعالم والإنسان. من أبرز المفاهيم عنده: المعنى، الحسية، الخيال، العلاقة،
التجانس...الخ

جسد ريشار منهجه النقدي الموضوعاتي في كتبه الشعر والعمق والأدب والإحساس، والأول تنمة
للثاني، ففي كتابه الأدب والإحساس قام بفحص المشاعر العاطفية، الحياء، الحزن، الفرح عند ستاندال،
ثم الرغبة والنشوة عند فلوبير، أمّا في الشعر والعمق فقد تناول الأعمال الشعرية لثلاثة شعراء هم: بودلير،
فرلين، راميو، نرفال باتبعه لطريقة واضحة بداية من محاولة "فهم النتائج الشعري و التعاطف معه من
خلال اللحظة الأولى للإبداع والتي تكون عن طريق الاتصال الفزيائي للمبدع مع العالم من خلال
الإحساس الخالص فينتج المعنى عن طريق اللغة التي تحاكي هذا العالم وتعالج قضاياها والبحث عن
قصيدة الأدباء الأربعة، من خلال فحص الصورة الأدبية في اللحظة الأولى من عملية الخلق، كذا محاولة
فهم العلاقات المسؤولة عن الانسجام الداخلي للأعمال الأدبية التي اختارها في دراسته.

و في كتابه "قراءات مجهرية" يركز على النقد الموضوعاتي الذي يقوم على تحليل أدبي دقيق يركز
على أصغر وحدات النص وكيفية إنتاجها للمعنى بتظاferها مع وحدات أخرى فريشار يعرف الموضوع بأنه
مبدأ تنظيمي أو ديناميكية داخلية تسمح بتشكيل عالم النص وامتداده، ويبحث في القرابة السرية بين
عناصر النص للكشف عن المعنى الخفي وراء المعنى الظاهر والصيغة الموضوعاتية التي ابتكرها ريشار
تبدو محيطة بكل القضايا التي يمكن أن يتناولها عمل أدبي ما مع قول ريشار أن قراءته لا يمكن أن
تنتهي إلى فهم تام للأعمال المدروسة ، فكل قراءة ليست سوى محاولة ممكنة.

المحاضرة السادسة: الموضوعاتية عند العرب - عبد الكريم حسن وآخرون-

لم يظهر النقد الموضوعاتي في العالم العربي، إلا في سنوات السبعين من القرن العشرين، مع تنامي النقد المضموني الانطباعي، واكتساح النقد الأيديولوجي الواقعي والماركسي للساحة النقدية العربية، وقد استفاد هذا المنهج أيضا من المنهج البنيوي مع امتداد سنوات الثمانين .

وبلاحظ على أغلب الدراسات الموضوعاتية العربية أنها تكاد تكون دراسات مضمونية فكرية تتسم بالسطحية تارة، وبالعق التحليلي تارة أخرى. وهناك أنواع من المقاربات الموضوعاتية في النقد الأدبي العربي: نقد موضوعاتي ذاتي انطباعي، ونقد موضوعاتي موضوعي، وموضوعاتية مضمونية، وموضوعاتية شكلية كما أن ثمة موضوعية تأويلية مرجعية، وموضوعية بنيوية وصفية .

يعدّ عبد الكريم حسن رائد الدراسات الموضوعاتية عربيا بدراسته "الموضوعية البنيوية دراسة في شعر السياب"، وهذا الكتاب في أصله رسالة دكتوراه تمت مناقشتها بفرنسا في عام 1980، ونشرت عام 1983، اعتمد عبد الكريم حسن في دراسته على الإحصاء لاكتشاف الموضوع الرئيسي والموضوعات الفرعية في شعر السياب، بحيث يكون الموضوع الأساسي، هو الموضوع الذي تتردّد مفرداته في النص أكثر من تتردّد مفردات الموضوعات الأخرى، وتشكل هذه الأخيرة بعد ذلك الموضوعات الفرعية للموضوع الرئيسي واعتماده على الإحصاء في رأيه جاء بهدف تحديد الموضوع الرئيسي، وهو إجراء تنقصه الفعالية، بسبب عدم ثبات دلالة اللفظ من موقع في النص إلى آخر، وما حصل مع حسن هو نفسه ما وقع فيه جان بيير ريشار وتوصل كلاهما إلى عجز هذا الإجراء عن تحديد النواة الرئيسية للموضوع.

وهكذا جاءت دراسة عبد الكريم حسن لشعر السياب دراسة للموضوع حسب منهجية خاصة، كانت استكشافا ووصفا و تحليلا للموضوع، بدل البحث عن النواة أو الجذر الذي يتفرع منه النص، حسب ما يهدف إليه النقد الموضوعاتي، وحسب ما قام به كل من ريشار و وبير، وبولي في أعمالهم النقدية .

كما تناول عبد الكريم حسن في مؤلفه، "المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق" الصادر سنة 1988، والذي جمع فيه مادة متنوعة وغنية تعدّ بحق مرجعا مهما لكل قارئ بالعربية يهتم بالمنهج الموضوعاتي، إذ قدّم فيه صورة عن منابع الفلسفة الظاهراتية التي تزعمها هوسرل، واستقى منها باشارل والنقاد الموضوعاتيون عموما أصول هذا المنهج ، ثم أتبع المؤلف ذلك بنصوص كثيرة توزعت على

فصول الكتاب ، أبرز فيها مفاهيم المنهج وتوجهاته حسب ما استقرت عند جان بيير ريشلر وأعلن عنها في إصداراته النقدية المتنوعة، إلى جانب ذلك ضمن عبد الكريم حسن كتابه نماذج من نصوص تطبيقية لجان بيير ريشلر فجاء الكتاب بفضل ذلك عبارة عن ترجمات لمجهودات هذا الناقد، مما جعل مهمة المؤلف تكاد تنحصر في ترتيب المادة وعرضها، مع إغنائها بالشروح والتعليقات، توزعت على متن الكتاب وهوامشه .

ومن أهم نقاد المقاربة الموضوعاتية عربيا نذكر : الكاتب المغربي عبد الفتاح كليطو في رسالته الجامعية : " موضوعاتية القدر في روايات فرانسوا مورياك " التي قدمت باللغة الفرنسية لتناقش بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط سنة 1971م، والكاتبة السورية كيتي سالم في رسالتها الجامعية عن " موضوعاتية القلق عند غي دي موباسان " والتي قدمتها بالفرنسية إلى السوريين سنة 1982م، و علي شلق في كتبه: " القبلة في الشعر العربي القديم والحديث "، و "المتنبى شاعر ألفاظه تتوهج فرسانا تأسر الزمان " ، و " ابن الرومي في الصورة والوجود، و " أبو العلاء المعري والضبابية المشرقة" إضافة إلى الناقد سعيد علوش في كتابه: " النقد الموضوعاتي " وحميد لحميداني في كتابه: " سحر الموضوع " ، وجوزيف شريم في مقاله: " الاتجاهات النقدية النفسانية وسعيد يقطين في كتابه: " القراءة والتجربة " على الرغم من انطلاقه منهجيا من التحليل البنيوي السردى وثمة كتب أخرى تقترب من النقد الموضوعاتي إن مضمونا وإن شكلا على الرغم من عدم وجود مستندات نظرية ومنهجية توضح طبيعة المقاربة ونوع النقد المنهجي المطبق.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات الموضوعاتية الموجودة في الساحة النقدية العربية، فهي أقرب إلى الدراسات المضمونية التي تفتقد إلى التصور النظري والمنهجي والفلسفي و الإبتمولوجي بالمقارنة مع الدراسات الموضوعاتية الغربية، فالنقد الموضوعاتي اليوم عربيا لا يملك حضورا واضحا يميزه عن النقد الذي يتناول موضوعات النصوص الأدبية من وجهة نظر اجتماعية وسياسية ونفسية.

المحاضرة السابعة النقد الموضوعاتي في الجزائر:

تأخر ظهور النقد الموضوعاتي في الجزائر بسبب تأخر الموضوعاتية في الوطن العربي ككل وذلك راجع -حسب عديد النقاد- إلى انشغال النقاد العرب بالسميائيات والبنوية، مما جعل النقد الموضوعاتي يبقى في الظل، حتى في موطنه الأصلي، من هنا يكون تأخر بروز وتطور المقاربة الموضوعاتية في النقد الجزائري أمرا طبيعيا .

ونجد ملامح النقد الموضوعاتي في الجزائر في مؤلفات من قبيل : "صورة الفرنسي والفرنسية في الرواية المغاربية" لعبد المجيد حنون ، كما نذكر دراسة الناقد الجزائري، شريط أحمد شريط حول شعرية الطفولة في الشعر الجزائري المعاصر، حيث قام بتجميع أبرز موضوعات النصوص الشعرية، لكنه أخفق في القبض على شعريتها.

إضافة إلى رسالة الماجستير التي أعدتها الباحثة الجزائرية مسعودة لعريط، بعنوان قصص الأطفال في الجزائر دراسة موضوعاتية سنة 1996، بجامعة عنابة، وقد سارت لعريط في منهجها اعتمادا على الإحصاء لتحديد الموضوعات الرئيسية والفرعية فجاءت دراستها استكشافا ووصفا وتحليلا للموضوع بدلا من البحث عن النواة أو الجذر الذي يولد منه النص .

ومن الدراسات الجزائرية أيضا ما كتبه يوسف وغليسي في دراسته لأشعار محمد فاتح الفيتوري ضمن كتابه "التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري بحث في ثوابت المنهج وتحولاته العربية ومحاولات لتطبيقه"، ويفصح وغليسي عن اتباعه للمنهج الموضوعاتي في دراسته، إضافة إلى مؤلف محمد مرتاض، الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري ويعد هذا الكتاب دراسة رائدة تعلن صراحة عن اتباعها للمنهج الموضوعاتي، فيبدأ بتوضيح الأرضية النظرية التي سيتبعها، لتحليل مجموعة من الدواوين الشعرية لشعراء جزائريين في أربعة فصول، ومن الجهود الجادة كذلك سعي الناقد الجزائري محمد السعيد عبدلي إلى الاطلاع على أعمال كل من جون بيبير ريشار جورج بولي، وكذا جان بول وبيير، فهؤلاء الثلاثة يعدون المصدر الحق للنقد الموضوعاتي، فقد عكف عبدلي على دراسة أعمال هؤلاء الثلاثة، وقد أثمر جهده هذا عن ميلاد مؤلف مهم صدرت طبعته الأولى في الجزائر سنة 2011 بعنوان، اللمنهج الموضوعاتي، أسسه وإجراءاته، ولم يكتف عبدلي بهذا العمل النظري، وإنما راح يدعمه بممارسة تطبيقية

لهذه المقاربة النقدية في مؤلفه الثاني عالم كاتب ياسين الأدبي دراسة وفق المنهج الموضوعاتي، وهذه الدراسة نموذج متفرد من ناحية الدراسة التطبيقية للنقد الموضوعاتي .

قائمة المراجع :

1-حميد لحميداني: سحر الموضوع عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، منشورات دراسات سيميائية، فاس المغرب، ط1، 1990

2-جميل حمداوي :المقاربة النقدية الموضوعية، المكتبة الشاملة الذهبية، ط1، 2015.

3-سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، منشورات بابل، للنشر والطباعة، الرباط، المغرب، ط1، 1989.

4-عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي نظرية و تطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1990

5-محمد السعيد عبدلي:المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، منشورات الجاحظية، الجزائر، ط1، 2010.

6-عبد الحميد بيقية، رضوان جنيدي: النقد الموضوعاتي الأسس والإجراءات، مجلة أفاق علمية، مج 11، ع4، 2019.

7-الجوهرة بنت بخيت آل ههجاه: البنية الموضوعاتية في قصيدة حاتم الطائي، في ضوء التشاكل والتباين السيميائي، مجلة العلوم العربية، ع52، رجب 1440هـ.

8-سامية عليوي : من المنهج الموضوعاتي إلى منهج النقد الأسطوري، مجلة اللغة العربية، ع24.

9 -عمر بهليل ، محمد السعيد عبدلي: النقد الموضوعاتي من منظور محمد السعيد عبدلي، مجلة فصل الخطاب، مج12، ع 1، مارس 2020

10- رضوان ظاظا: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، عالم المعرفة .